الدكتور رأفت الشيخ أستاذ التاريخ المعاصر والحديث في حوار مع «الشرق»:

زيارتي للدوحة بدعوة من الجامعة لإلقاء محاضرة عما يجرى في آسيا وبحث التعاون العلمي والثقافي

لامانع من المفاوضات مع إسرائيل بشرط عدم التفريط مادامت وحدة الموقف العربي غائبة

الدكتور رأفت الشيخ يتحدث للزميل إبراهيم إسماعيل (تصوير: راجن)

حوار: إبراهيم إسماعيل

تدور على الساحة الدولية هذه الايام احداث كثيرة.. على سبيل المثال مايتعلق بالعرب والمسلمين كمفاوضات السلام العربية - الاسرائيلية والخلافات بين مصر واسرائيل حول التوقيع على معاهدة حظر انتشار الاسلحة النووية والخلافات الحدودية بين الدول العربية والعمليات العسكرية التركية في شمال العراق ضد حزب العمال الكردستاني..

ايضا هناك مايتعرض له شعب البوسنة والهرسك المسلم من ابادة لانهاء الوجود الاسلامي في اوروبا ثم الحرب المسعورة ضد شعب الشيشان.. الهموم والمشاكل اذن كثيرة خصوصا تلك التي تتعلق بالعرب والمسلمين فماذا يجب علينا كأمة واحدة عربية او اسلامية لمعالجتها؟ وهل نحن قادرون على حل مشاكلنا؟.. وكيف؟.. واين موقعنا من التكتلات الاقتصادية والسياسية التي تخرج علينا يوما بعد يوم ونحن «محلك سر» ان لم نكن نتقهقر للخلف؟.. هذه الاسئلة وغيرها حملناها الى متخصص وخبير في التاريخ الحديث والمعاصر اثناء زيارته للدوحة هذا الاسبوع وهو الاستاذ الدكتور رأفت الشيخ الذي له العديد من البحوث والدراسات التاريخية التي ياخذها صانعو القرار والاستراتيجيون بعين الاعتبار وقبل ان ندخل معه في صلب الحديث فهو استاذ للتاريخ المعاصر في جامعة الزقازيق وعدد من الجامعات العربية وعميد معهد الدراسات الاسيوية وله ١٦٨ كتابا وبحثا في تاريخ الدول.. وكان اول سؤال عن هدف زيارته للدوحة فقال:

زيارتي للدوحة بناء على دعوة موجهة من الاستاذ الدكتور ابراهيم النعيمي رئيس جامعة قطر لزيارة كلية الانسانيات والقاء محاضرات على الطلاب والطالبات وعقد سمينار مع اساتذة قسم التاريخ وابداء الرأي في لائحة تطوير كلية الانسانيات.. كان هذا هو نص الدعوة وقد تم بالفعل عقد السمينار وكان بعنوان: ماذا يجرى في قارة اسيا الان من احداث تتمثل في ظهور النمور الاقتصادية والسياسية وقيام الدول الاسلامية المستقلة في وسط اسيا بعد تفكك الاتحاد السوفيتي، وهذا الموضوع دارت المناقشات حوله مع اعضاء هيئة التدريس بقسم التاريخ في كلية الانسانية.

ايضا كانت هناك محاضرة لطالبات كلية البنات عن الاقليات الاسلامية في العالم ودارت فيها ايضا مناقشات من الطالبات والاساتذة الذين حضروا وانتهزت الفرصة لالتقي بسعادة الشيخ محمد بن عيد آل ثاني رئيس الهيئة العامة للشباب والرياضة للسلام عليه بحكم العلاقة بيننا وفي نفس الوقت لاتناقش معه حول كيفية التعاون في مجال الشباب خاصة في المجال الثقافي باعتبار انه سبق ان دعاني للمشاركة في موسم ثقافي اقامته الهيئة منذ عدة سنوات، كذلك التقيت بعميد كلية الانسانيات الاستاذ الدكتور محمد كافود وتواصل الحديث بيننا بعد ان كنا معا في الاسبوع الماضي نحضر مهرجان الحرس الوطني السعودي الثقافي بالرياض وتواصل الحديث حول التعاون بين جامعة قطر وجامعة الزقازيق.. ايضا كان لي لقاء مع سعادة مدير الجامعة الاستاذ الدكتور ابراهيم النعيمي حيث تمت مناقشة التعاون خاصة في جانب البحث التاريخي بحكم وجود طلاب قطريين يدرسون بجامعة الزقازيق والرغبة في توسيع النشاط لمشاركة اساتذة قطريين في الاشراف على رسائل الطلاب القطريين واشتراكهم في مناقشة تلك الرسائل.

السلام بين العرب وإسرائيل

○ ونتاتي يادكتور الى الهموم السياسية التي يحفل بها عالمنا العربي اليوم واسال سيادتكم ما رأيك كاستاذ للتاريخ الحديث والمعاصر في مفاوضات السلام الدائرة بين العرب واسرائيل الان.. ما موقف المؤرخين منها.. تؤيدون ام تتحفظون؟

— من دراستنا للتاريخ استطيع القول انه لاسبيل امامنا في هذه الايام الا التفاوض مع الجانب الاسرائيلي للاسباب الاتية: اولا - وجود خلافات عربية بين الاقطار العربية تمنع وحدة الموقف العربي، ثانيا - استمرار الدعم الامريكي غير المحدود لاسرائيل، ثالثا — ان القوة المسلحة العربية تقصر عن هزيمة اسرائيل عسكريا، رابعا — ان النظام العالمي الجديد لايسمح بقيام حرب اخرى بين العرب واسرائيل.

لهذا علينا ان نستمر في المفاوضات دون تفريط في حقوقنا حتى ولو طالت هذه المفاوضات، فامامنا امثلة كثيرة في التاريخ حيث فاوض الرسول ﷺ يهود بني قريظة وبني قينقاع في المدينة ليستعين بهم في مواجهة المشركين اثناء غزوة الخندق.. ورغم ان اليهود لاعهد لهم إلا انه كان مضطرا لذلك، وايضا فاوض صلاح الدين الايوبي الصليبيين في فلسطين ولم يستطع ان يخرجهم جميعا من ارض فلسطين واخرجهم بعده ابناء الكامل والعادل ثم المماليك.. اذن المفاوضات لاغبار عليها مع اعدى الاعداء طالما لانفرط في حقوقنا التفريط الذي لايمكن تعويضه..

○ لكن الا ترى ان الخلافات بين مصر واسرائيل حول التوقيع على معاهدة حظر انتشار الاسلحة النووية يمكن ان تعطل هذه المفاوضات؟

— هذا موضوع آخر، وانا اشيد بموقف مصر والامة العربية في التمسك بضرورة توقيع اسرائيل على الاتفاقية لكن اسرائيل وحلفاءها في الغرب لهم وجهة نظر اخرى وهي انه ما لم يعقد صلح مع بقية الاقطار العربية فهي تعيش غير آمنة في هذا الوسط العربي ومن هنا تاتي مرونة الموقف العربي بانه لامانع من ان يتم توقيع اسرائيل على الاتفاقية مع عقد اتفاقية سلام مع سوريا ولبنان وانهاء المشكلات مع منظمة التحرير الفلسطينية وفي رأيي ان هذا الطرح يتمشى مع الموقف العالمي لانه للاسف لاتوجد قوة من القوى العالمية تساند موقفنا كعرب بل جاءت المساندة لموقف اسرائيل.

○ قبل قليل اشرت الى وجود خلافات عربية تمنع وحدة الموقف العربي، وقبل ايام احتفل العرب بمرور خمسين عاما على تاسيس جامعة الدول العربية.. اذن الجامعة لم تستطع طوال خمسين عاما ان توحد موقف العرب.. في رأيك يادكتور ما السبب؟

— السبب ان الجامعة العربية جامعة حكومات والعلاقات بين الحكومات تسير بين شد وجذب وبين ارتفاع وانخفاض، وهذه العلاقات تنعكس على عمل الجامعة وامامنا قضايا كثيرة كانت الجامعة العربية تتاثر فيها بالموقف العربي المختلف بعضه مع بعض، ومع ذلك تبقى الجامعة هي الامل الذي يتمسك به العرب لانها تمثل الحد الادنى لمطالب وطموحات الامة العربية في الوحدة التي طال انتظارها.

○ الا ترى ان الامر يتطلب تعديلا في الدستور كي تقوم الجامعة بدورها المفتقد المنشود؟

— اذا تتبعنا نشاة الجامعة منذ خمسين سنة كانت الدول المؤسسة سبع دول وصلت الان الى اثنتين وعشرين دولة وهذا يستلزم اجراء تعديل في الميثاق يعطيها قوة، وفي رأيي ان التعديل يتمثل في التزام الدول بدفع حصصها في ميزانية الجامعة بصورة منتظمة، والشيء الثاني تحقيق مبدأ اقامة محكمة عدل عربية لحل الخلافات بين الدول العربية داخل الاسرة العربية والامر الثالث التفكير في تكوين قوة ردع عربية كما حدث بالنسبة لمجلس التعاون الخليجي لما انشأ قوة ردع الجزيرة.. واقامة هذه القوة الرادعة ضرورة كما يحدث بالنسبة للامم المتحدة وتكون لها ميزانيتها ويكون هدفها منع الاشتباكات الحدودية بين الاقطار العربية وللاسف هي كثيرة.. على سبيل المثال تشكلت هذه القوة عام ١٩٦١ من مصر والسعودية لمنع عبد الكريم قاسم من غزو الكويت ثم توقف المشروع ونرجو احياءه الان.

ضرورة حل خلافات الحدود العربية

○ نظل يادكتور في الهم العربي واسالك هل الدول العربية يمكن ان تنهض.. وهل لديها مقوماتها وارادتها على حل خلافاتها وتشكيل قوة اقتصادية وسط التكتلات الاقتصادية التي بدات تبرز؟

— العرب يملكون مقومات التكتل الاقليمي اكثر من غيرهم فالتراث الثقافي المتمثل في اللغة والدين من اهم عوامل الترابط بين هذا الوطن العربي بعكس اتحاد اوروبا الغربية حيث توجد فيه لغات وديانات وقوميات مختلفة وبعكس مايحدث في اسيا ففي الدولة الواحدة توجد لغات كثيرة وديانات عديدة كما هو الحال في الهند.

المقوم الثاني للعرب هو الموقع فنحن نقع في وسط العالم والعالم كله يحتاج الينا سواء من الغرب او من الشرق للممرات في اراضينا والمقوم الثالث الثروة النفطية والزراعية والبشرية الهائلة في الوطن العربي والتي يحتاج اليها الشرق والغرب ايضا. اذن ماينقصنا هو الارادة ثم الادارة كما ذكرت عن نجاح التجربة اليابانية المستندة الى ارادة المواطنين والادارة الحكومية الواعية فنحن في حاجة الى شعور بالانتماء العربي القومي وفي حاجة الى الوعي عند القيادات العربية باهمية التنسيق العربي كما حدث في حرب اكتوبر عام ١٩٧٣ حين تحقق التنسيق العربي سواء في المجال العسكري او في مجال النفط حتى ارغمت الدول الكبرى على احترام الموقف العربي الموحد وهذا ليس ببعيد الان خاصة اننا نواجه تحديات خطيرة تمس مستقبلنا قبل حاضرنا.

واول ما الفت النظر اليه هو ضرورة حل مشكلات الحدود بين الدول العربية لانشا ابناء امة عربية.. المهم ان يكون لدينا الوعي باستخدام الارض العربية وخيراتها لصالح العرب وقوتهم.

العمليات التركية في شمال العراق

○ الجديد من الاحداث على الساحة العربية مايحدث في شمال العراق حيث بدات تركيا قبل ثلاثة اسابيع عمليات عسكرية فيه ضد حزب العمال الكردستاني.. والملاحظ عدم وجود شجب او حتى تاييد لهذه العمليات.. ما حقيقة المشكلة وماجذورها؟

— مشكلة كردستان مشكلة معقدة وقديمة فكلمة كردستان تعني بلاد الاكراد وهذا العنصر البشري يتمنى اقامة دولة كردستان والاستعمار بعد الحرب العالمية الاولى قسم بلادهم الى عدة اقسام بحيث اصبح جزء في العراق وجزء آخر في سورية وجزء ثالث في تركيا وجزء رابع في القوقاز الذي كان خاضعا للاتحاد السوفيتي وجزء خامس في ايران، فالحرب التي يشنها حزب العمال الكردستاني من اجل اقامة الدولة الكردية تعني انفصال الجزء التركي مما يثير مخاوف بقية الدول المحيطة ويلجأ حزب العمال الكردستاني الى الاعمال القتالية والعنف داخل الاراضي التركية لارغام حكومة انقرة على التسليم بمطالب الاكراد وبعدها يمكن ضم بقية اراضي كردستان في البلاد المجاورة والحملة التي تقوم بها تركيا ضد محاولات اقامة الدولة الكردية تبارکها الدول الغربية وحتى الدول المجاورة لتركيا فلم نسمع شجبا قويا من جانب العراق او ايران او سوريا وكلها حدودها ملاصقة للحدود التركية وهذا يعني ان الجميع موافقون على مقاومة فكرة اقامة دولة كردستان ويبدو ان تركيا قد حصلت على الضوء الاخضر من الولايات المتحدة في المقام الاول ثم من روسيا على القيام بهذه العملية في شمال العراق المشمول بالحظر الدولي ضد الطيران العراقي.

مسلمو البوسنة ومسلمو الشيشان

○ يتعرض المسلمون في البوسنة والهرسك، والمسلمون في الشيشان الى حرب مسعورة من جيرانهم فهل هذه حرب ضد الاسلام ام ضد الانفصال؟

— بالنسبة للبوسنة والهرسك فهي حرب صليبية بمعنى ان الصرب معادون للمسلمين ويسعون الى انهاء الوجود الاسلامي من اوروبا ولذلك فان الموقف العربي والاسلامي يجب ان يتفهم هذا او يساند المسلمين في البوسنة والهرسك مع العلم ان البوسنة والهرسك هي احدى جمهوريات الاتحاد اليوغسلافي السابق وعدها ست تضم حوالي ٥٠٪ من سكانها مسلمين و٣٥٪ تقريبا من سكانها صرب ارثوذكس و١٥٪ من الكروات الكاثوليك، فجمهورية الصرب هي جمهورية اخرى من جمهوريات الاتحاد اليوغسلافي تسعى لضم البوسنة والهرسك او على الاقل السيطرة على جزء كبير منها وتعتمد في هذا على صرب البوسنة والهرسك وتاييد روسيا الى جانب جمهورية الجبل الاسود، اما بالنسبة للشيشان فهذه احدى جمهوريات روسيا الاتحادية التي تتمتع بحكم ذاتي طبقا للدستور الروسي وغالبية شعبها مسلمون ويتمتعون بصلابة في القتال ومن هنا سعوا الى ان ينفصلوا عن روسيا الاتحادية ويصبحوا جمهورية مستقلة وترفض روسيا هذه المحاولة وتساندها الدول الغربية بدعوى ان هذه مسالة داخلية بين روسيا وجزء منها يحاول الانفصال عنها وهذا يلقي علينا مسئولية مساعدة شعب الشيشان المسلم ومراعاة حساسية الموقف الدولي الذي يصر على ان هذه مسالة داخلية ويغمض الطرف عما تفعله قوات الغزو الروسي من تخريب وتدمير وتقتيل.